المصدر: السفير
التاريخ : ٢٨ يـو ليـو ٢٠٠٥

سوريون يحاصرون لبنانيين

وسام سعادة

سوريون يحاصرون لبنانيين. لبنانيون يحاصرون فلسطينيين. سوريون ولبنانيون وفلسطينيون يحاصرون بعضهم بعضاً ويحاصرون أنفسهم ويتحاصرون. هذه حال العروبة في بلاد الشام، وهي حال مزمنة ومستفحلة، فعملية تدمير وشائج العلاقة بين الشعوب الشامية جارية على قدم وساق منذ بضعة عقود، وهي تتخذ منذ السبعينيات، شكل حرب أهلية بلاد شامية، تبدت بشكل ساطع وأساسي في المراحل المتعاقبة لحرب لبنان، وتبقى إمكانات تجدد هذه الحرب الأهلية البلاد شامية قائمة طالما ظلت الأسباب تجدد نفسها وتبني لها أشكالاً جديدة: عجز القطب الدمشقي عن أداء دور المركز في سوريا خصوصاً بعد محنة الهروب الى الأمام في الوحدة مع مصر أو الهروب الى الوراء مع الانفصال عن مصر وتحول المناطق الطوائف الطرفية الى بدل عن المركز، وعجز الكيانية اللبنانية عن الاستمرار في المارونية السياسية وعجزها عن تجاوز المارونية السياسية في الوقت نفسه، وتعرض المقاومة الفلسطينية منذ نشأتها لظلم ذوي القربى أو حتى للظلم الذاتي الذي مارسته بحق نفسها. كل هذه الأسباب كانت تدفع الشعوب الشامية الثلاثة العاجزة عن تأمين مقدمات الكيانية الوطنية الحديثة الى توتير العلاقة في ما بينها.

كان الشغيلة اللبنانيون والسوريون والفلسطينيون هم دائماً وقود هذا التوتير، وهم اليوم <<مكسر عصا>> أكثر من ذي قبل. ليس ما يذكّر ببداهة من نوع أن ظروف عملهم وسكنهم تجمع في ما بينهم بما يكفي. ليس ما يذكّر ببداهة أن مصالحهم تتضرر حكماً اذا ما كان التوتير سيد الموقف في العلاقة بين شعوب بلاد الشام.

على هذا النحو، فقد جرى التنكيل بعشرات الشغيلة السوريين في لبنان ابتداء من شباط، ولم تكن هذه المرة الأولى التي ترمى فيها قنبلة يدوية على خيمة للعمال السوريين. أما القول بأن كل الأحداث فردية أو <<غامضة>> فهذا يطرح بذاته مشكلة أخرى: مئات بل آلاف العمال السوريين الذين قضوا جراء الظروف الرقّية للعمل.

يبقى <<نكران جميل>> المارقين أمراً مشروعاً ونافعاً، أما نكران جميل آلاف الشغيلة الذين أعادوا إعمار لبنان بأبخس تكلفة لليد العاملة فهو من أقرف مظاهر العنصرية، والحق أن لبنان إن تميز بفرادة ما، فبشدة العنصرية تجاه الأقربين.

في الوقت نفسه فإن الاعتراف بجميل هؤلاء العمال يتوقف على نكران جميل من يتصرف مع شغيلة لبنان وفلاحيه وسائقي شاحناته بوقاحة شديدة عند الحدود اللبنانية السورية، في تصور باهت يخال انه بإجراءات كهذه انما يطيل عمر <<استقرار>> السلطة المركزية إن هو حفز السوريين على مبادلة اللبنانيين شعور الكراهية ذاته، وهذه طريقة فريدة في تخلي دمشق عن أفضل ما في الأدلوجة البعثية واستبقاء ما عدا ذلك من مقولات بالية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

أما في ما عنى المعدمين الفلسطينيين، فهم رهينة طمس حقيقة أن الارهاب الذي أودى بحياة الحريري وقصير وحاوي ورفاقهم هو بشكل مباشر أو غير مباشر إرهاب دولة إن لم يكن إرهاب دولتين لا دخل لحلم دولة فلسطين به.

وبعد، يتعرض العراق لجراحات تفتيتية، أما البلاد الشامية فمقسمة ومفتتة من أصل. أما الآن فإنها تتعرض لمزيد من التفتيت يترافق في الوقت نفسه مع تقوية النزعات الكيانية، وبخاصة السورية واللبنانية، قبل تخلعهما شبه الأكيد، وذلك من خلال رفع منسوب العنصرية.

يجري ذلك بيسر شديدة، دون أي مضادات حيوية جدية، هي بمثابة الضرورة العاجلة حالياً، ضرورة التحرك في جلق، في بيروت، في مخيمات الشتات تحت مطالب طارئة ثلاثة:

1 التحقيق والتعويض في ملف العمال السوريين الشهداء، وتوسيع هذا التحقيق الى الكشف عن حقيقة ما كانت تعانيه فئات الشغيلة السورية في لبنان.

2 رفع الحصار عن شغيلة ومزارعي لبنان وعودة العمال السوريين الى لبنان معززين مكرمين لهم حقوق وواجبات.

3 رفع الحصار عن المخيمات الفلسطينية في لبنان وإفساح المجال لتسيير داخلي ديموقراطي ضمنها، مع توسيع وتجذير ما أطلقه وزير العمل اللبناني من بادرة حسن نية تجاه العمالة الفلسطينية، ومواصلة النضال حتى تأمين كل الحقوق الاجتماعية والمدنية للفلسطينيين المقيمين في لبنان بصرف النظر عن موعد قيام الدولة الفلسطينية، وبالتوازي مع حقوق سياسية وثقافية.

www.ethraadl.com